## الرسالة

(١ كورنثوس ٩: ٢-١٢)

يا إخوةُ إنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الرب* وهذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني* ألعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نأكلَ ونشرب* ألعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نجول بامرأةٍ أختٍ كسائرِ الرسلِ وإخوةِ الربِّ وصفا* أم أنا وبرنابا وحدَنا لا سلطانَ لنا أن لا نشتغِلَ* مَن يتجنَّدُ قطُّ والنفقةُ على نفسه. مَن يغرسُ كرماً ولا يأكُلُ من ثمرهِ. أو مَن يرعى قطيعاً ولا يأكُلُ من لبن القطيع* ألعلّي أتكلَّم بهذا بحسبِ البشريَّة أم ليسَ الناموسُ أيضاً يقولُ هذا* فإنَّه قد كُتبَ في ناموسِ موسى لا تكمَّ ثوراً دارساً. ألعلَّ اللهَ تُهمُّهُ الثيران* أم قال ذلك من أجلِنا لا محالة. بل إنَّما كُتِبَ من أجلنا. لأنَّه ينبغي للحارثِ أن يحرُثَ على الرجاءِ وللدارسِ على الرجاءِ أن يكون شريكاً في

## يوحنا المعمدان يعدّ طريق الرب

«تذكار الصدّيق بالمديح، أما أنت أيها السابق فتكفيك شهادة الرب، لأنك ظهرت بالحقيقة أشرف من كل الأنبياء، إذ قد استأهلتَ أن تعمّد في المجاري من كرزوا هم به، ومن ثم إذ جاهدتَ عن الحق مسروراً، بشّرتَ الذين في الجحيم بالإله الظاهر بالجسد، الرافع خطيئة العالم والمانح إيانا الرحمة العظمة» (طروبارية القديس يوحنا المعمدان)

**العدد ٢٠١٤/٣٤**

**الأحد ٢٤ آب**

**تذكار الشهيد في الكهنة**

**إفتيشيس (سعيد)**

**اللحن الثاني**

**إنجيل السَحَر الحادي عشر**

الكنيسة تكرّم الصدّيقين وتنشئ لهم مدائح وصلوات لتكشف للمؤمنين قداستهم، أما يوحنا المعمدان فقد نال تكريمه من الرب نفسه الذي شرّفه ومدحه قائلاً: «ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم، أقول لكم، وأفضلَ من نبي. فإن هذا هو الذي كُتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهكَ ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك. الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (مت ١١: ٩-١١). هذا النبي الذي نال شرفاً أكثر من كل الأنبياء، إذ استأهل أن يعمّد ابن الله في نهر الأردن، نعيّد في التاسع والعشرين من شهر آب لقطع رأسه واستشهاده. إضافة الى هذا التعييد، ارتأت الكنيسة أن تقيم له تذكاراً أسبوعياً مع باقي الأنبياء، فخصصت له أيام الثلاثاء على مدار السنة. أما يوم ٢٩ آب، فهو يوم نصوم فيه عن الزفرَين حتى ولو وقع في يوم أحد. وهناك عادة تمارس أحياناً في الأديرة، لا يستخدمون السكين على المائدة في هذا اليوم إجلالاً لميتة الاستشهاد التي كابدها المعمدان بقطع رأسه.

صفة «المعمدان» التي التصقت باسمه والتي يعرفها جميع أبناء الكنيسة، هي مرتبطة بتعميده للرب يسوع البريء من الخطأ، وبتعميده للناس في نهر الأردن معمودية التوبة: «حينئذ خرج إليه (الى يوحنا المعمدان) أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردن، معترفين بخطاياهم» (مت ٣: ٥-٦). رغم خروج الناس إليه، ورغم جهاده الكبير وزهده بالعالم وبما فيه، بقي فائق التواضع أمام عظمة السيد، وقال: «أنا أعمدكم

بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (مت ٣: ١١).

الى جانب تسمية «المعمدان»، يُدعى يوحنا النبي «سابق الرب». ذلك لأنه كان سابقاً للمسيح في كل مراحل حياته، يعدّ له الطريق. فهو «صوت صارخٍ في البرية: أعدّوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة» (مر ١: ٣). فمجيء يوحنا المعمدان كان علامة بالنسبة للعبرانيين ان الله لم ينسَ وعوده بإرسال المسيّا المخلّص. فقد مرَّت فترة طويلة لم يكن فيها أنبياء. ومهمة الأنبياء الأساسية هي التذكير بكلام الرب للشعب ودعوته للتوبة، وبأن الله سوف يرسل في الوقت المناسب المسيّا الذي سيخلّص الشعب من خطاياه. وهكذا فإن ظهور يوحنا المعمدان كان بمثابة عودة الروح إلى الشعب العبراني وتجدّد الأمل بمجيء المخلّص الذي يرعى شعبه المؤمن.

عندما بشّر الملاك جبرائيل العذراء مريم، وتأكيداً لعظمة قدرة الله، أخبرها عن حبل نسيبتها أليصابات في شيخوختها: «هوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابنٍ في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن عند الله» (لو ١: ٣٦–٣٧). كانت عجيبة حبل أليصابات ممهدة لتجسد ابن الله، وكان يوحنا المعمدان أول من عرف يسوع وهو في أحشاء البتول، فعندما زارت مريم أليصابات سمعت منها هذا الكلام: «من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي؟ فهوذا حين صار صوت سلامك في أذنيّ ارتكض الجنين بابتهاج في بطني» (لو ١: ٤٣–٤٤).

يذكر الإنجيلي مرقس أن الرب يسوع انطلق في بشارته بعدما وُضع يوحنا في السجن: «وبعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله» (مر ١: ١٤). يوحنا كان يعمّد الناس ويعدّهم ليقبلوا البشارة الأكمل، بشارة ابن الله نفسه. هذا ما تصوره الكنيسة رمزياً في القداس الإلهي، ففي الدورة الصغرى التي ترمز الى خروج المسيح الى البشارة، يحمل الكاهن الإنجيل ويسبقه خادم حاملاً الشمعة التي ترمز الى يوحنا المعمدان. إن تعليم الرب يتكامل مع تعليم الأنبياء الأبرار الذين سبقوه ومن بينهم يوحنا المعمدان: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل» (مت ٥: ١٧). لذلك انطلق الرب في كرازته قائلاً: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٥). هذا الكلام يتطابق تماماً مع كلام يوحنا المعمدان. الذي بدأ كرازته بالقول: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣: ٢).

لم يكن يوحنا المعمدان سابقاً للرب في ميلاده وحياته وبشارته فقط، بل حتى في مماته. فعندما أراد هيرودس أن يتزوّج من هيروديا امرأة أخيه لاقى معارضةً من يوحنا المعمدان الذي كان يقول له: «لا يحلّ أن تكون لك» (مت ١٤: ٤)، فوضعه في السجن. وفي عيد مولد هيرودوس رقصت له ابنة هيروديا، فوعدها أنه يعطيها مهما طلبت. إثر ذلك، وبتحريض من والدتها، طلبت رأس يوحنا المعمدان. وقد رأت الكنيسة أن موت يوحنا المعمدان كان تهيّئة لموت المسيح على الصليب ونزوله الى الجحيم. لذلك

الرجاءِ* إن كُنَّا نحنُ قد زَرَعنا لكم الروحيَّات أفيكونُ عظيماً أن نحصُدَ منكم الجسديَّات* إن كان آخرونَ يشتركونَ في السلطانِ عليكم أفلسنا نحن أولى. لكنَّا لم نستعملْ هذا السلطان بل نحتملُ كلَّ شيءٍ لئلَّا نُسبّبَ تعويقاً ما لبشارةِ المسيح.

## الإنجيل

(متى ١٨: ٢٣–٣٥)

قال الربُّ هذا المَثَل. يُشبِه ملكوت السموات إنساناً مَلِكاً أراد أن يحاسِبَ عبيدَهُ* فلمَّا بدأ بالمحاسبةِ أُحضِرَ إليه واحدٌ عليهِ عشرَةُ آلافِ وزنةٍ* وإذ لم يكنْ له ما يوفي أَمَرَ سيّدُهُ أن يُباعَ هو وامرأتُهُ وأولادُه وكلُّ ما لهُ ويُوفَى عنهُ* فخرَّ ذلكَ العبدُ ساجداً لهُ قائلاً تمهَّلْ عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لكَ* فَرَقَّ سيّدُ ذلك العبدِ وأطْلَقَهُ وترك له الدَّين* وبعدما خرج ذلك العبدُ وجدَ عبداً من رُفقائِه مديوناً له بمئَةِ دينارٍ فأمسَكَهُ وأخذ يخنُقه قائلاً أوفِني ما لي عليك فخرَّ ذلك العبدُ على قَدَميهِ وطلب إليه قائلًا تمهَّل عليَّ فأوفِيَكَ كلَّ ما لك* فأبى ومضى وطرحَهُ في

السجن حتى يوفيَ الدَّين*
فلمَّا رأى رُفقاؤُهُ ما كان
حَزِنوا جدًّا وجاءوا فأعلَموا
سيّدَهم بكل ما كان*
حينئذٍ دعاهُ سيّدُهُ وقال له
أيُّها العبدُ الشرّيرُ كلُّ ما
كان عليك تركتُهُ لك لأنَّك
طلبْتَ إليَّ* أفَما كان ينبغي
لك أنْ ترحَمَ أنتَ أيضاً
رفيقَكَ كما رحمتُكَ أنا*
وغضِبَ سيّدُهُ ودفعهُ إلى
المعذِّبينَ حتى يوفِيَ جميعَ
ما لهُ عليه* فهكذا أبي
السماويُّ يصنعُ بكم إنْ لم
تترُكوا من قلوبِكم كلُّ واحدٍ
لأخيهِ زلاَّتِهِ.

## تأمل

«كان ينبغي لك أن ترحم أنت أيضاً رفيقك كما رحمتك أنا».

إنّ ما يميّز الإنسان الحقيقيّ المخلوق على صورة الله، هو أن يتشبّه بخالقه ويُرضيه. إذاً، فإنّ مَن يرفض حتى أن يسمع كيف يُرضي الله، هل يمكن أن يُدعى إنساناً؟ قد يُدعى بأيّ اسم سوى ذلك، وعلى الأغلب يجب أن يُدعى وحشاً. فكّر إلى أيّ دَرَكٍ يجب أن نصل، فبينما يريد المسيح أن يجعلنا نحن الناس مشابهي ملائكة، أو بالحريّ مشابهين له هو، لا نحافظ نحن على إنسانيّتنا بل نصبح وحوشاً، لأنّ ميزات الوحش هي الاستعباد الحيوانيّ للغرائز، والخطف، والقسوة، نقول في الطروبارية أن يوحنا المعمدان «بشّر الذين في الجحيم بالإله الظاهر بالجسد»، أي أنه كما بشّر الأحياء في ذلك الوقت باقتراب الملكوت وبمجيء المسيح، انطلق الى الجحيم ليكرز للنفوس المأسورة هناك بأن المسيح سيأتي إليهم ليخلصهم.

ألا أهّلنا الله أن نتعلّم من شهادة يوحنا المعمدان الاتّضاع الكامل الذي يفترض أن تختفي صورتنا الشخصية لتظهر فينا صورة المسيح، فنقول مع المعمدان: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠).

## صلاة الغروب

**+ يا رب إليك صرخت:**

بعد الطلبة تُرنّم المزامير ١٤٠ و١٤١ و١٢٩ و١١٦، وهذا القسم يعرف بـ «يا رب إليك صرخت». فالتوبة عن الخطايا المرتكبة تدعو النفس البشرية لأن تطلب الرحمة من رب الرحمة. نرتل «يا رب إليك صرخت فاستمع لي، أنصت إلى صوت تضرعي ... استمع لي يا رب». إنها صرخة من أعماق القلب لكي يستمع الرب صلواتنا نحن غير المستحقين، ويساعدنا لكي نبقى بعيدين عن الشر والأشرار، ويقبلنا ضمن مختاريه. نحن نصلّي ومتأكدون أن الرب سوف يسمع صلاتنا لأنها صادرة من أعماق قلب حار بمحبته.

هذه المزامير الأربعة تأتي بنا إلى زمن السقوط بعد المزمور الإفتتاحي ١٠٣ الذي عبّر عن تسبحة الخليقة للخالق. إنها صرخة الخليقة التي سقطت في الخطيئة وأُغلق باب الملكوت في وجهها. يبدو الإنسان في وحدته وشقائه يتضرّع إلى الرب كي يخلّصه (وهذا ما حصل في التجسد). لقد سقط الإنسان وابتعد عن الله بسبب خطيئته، ومن وحدته وشقائه يتضرّع إلى الرب لكي يلتفت إليه من جديد: «يا رب إليك صرخت فاستمع لي، أنصت إلى صوت تضرّعي حين أصرخ إليك، ... اسكب أمامه تضرّعي وأحزاني قدامه أخبّر ... من الأعماق صرخت إليك يا رب استمع إلى صوتي ... أخْرِجْ من الحبس نفسي لكي أشكر اسمك ... إن كنتَ للآثام راصداً يا رب، فيا رب من يثبت لأن من عندك هو الإغتفار ... لأن رحمته قد قويت علينا وحق الرب يدوم إلى الأبد». نصرخ ونستغيث لأننا سقطنا والضعف يستولي علينا. نرفع استغاثتنا دوماً إلى الله لكي ينهضنا ونحن واثقون أنه سيستجيب لنا. إننا ضعفاء لأننا بشر، ولكننا نعلم في نفس الوقت أن نعمته ستقوّينا ولذا لا نفتر عن الصراخ إليه : «من الأعماق صرختُ إليك يا رب فيا رب استمع لصوتي»، أي أعلمُ يا رب أنني إنسان خاطئ ولكنني واثق أنك ستصغي إلى هذا النداء الصادر من أعماق الهوّة حيث أنا وستنتشلني. وكما أن سقوطي عميق فإن رحمتك عظيمة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في شرح المزمور ١٤٠: «لقد أُمر بقراءته كدواء ولمغفرة الخطايا. فكل ما اتسخنا به خلال النهار، إن كان من السوق أو المنزل أو أي مكان نمضي فيه وقتنا، كل وسخنا نتخلّص منه في المساء عندما نرتل هذا النشيد الروحي. لأنه بالفعل دواء يقضي على كل هذه الأشياء» (المزمور ١٤٠ من أقدم المزامير في صلاة الغروب). نطلب من الله أن يقبل صلاتنا ويخلّصنا، لأن مَنْ يُقبل إلى الرب لا

يطرحه الرب خارجاً. إن صلاتنا لن تكون مستقيمة أمام الله إلا إذا كانت صادرة من قلب نقي مفعم بحرارة الإيمان بالله على أنه المخلّص الأوحد. لذا نرتل «لتستقم صلاتي كالبخور أمامك». البخور لا يعطي رائحته إلا إذا كان موضوعاً على جمر، كذلك صلواتنا لن تكون مقبولة إلا إذا كانت صادرة من قلب «مجمّر» يلتهب بمحبة الله. أثناء ترتيل يا رب إليك صرخت يبخر الكاهن قدس الأقداس وصحن الكنيسة والشعب كلّه فيقدس كل شيء.

في نهاية ترتيل هذه المزامير يعطينا مَنْ رتّب خدمة صلاة الغروب الأمل بالخلاص، والجواب على صرختنا وطلبنا بالخلاص. يقول لنا بأن الله سينتصر على الفساد الذي فينا، وذلك من خلال إدخاله ترانيم القيامة (مساء السبت) أو ترانيم أعياد القديسين (مساء باقي أيام الأسبوع) بين الآيات الأخيرة لهذه المزامير فيصبح لدينا ما يشبه الحوار بين العهدين القديم والجديد، بين الخطيئة والقيامة، بين الموت والخلاص. الشعب الخاطئ يصرخ من خلال آيات المزمور والرب يجيبه من خلال هذه الترانيم القيامية بأن الخلاص حصل بيسوع المسيح القائم من بين الأموات وكل مَنْ يقبل هذا الفداء يخلص. أما ترانيم أعياد القديسين فلكي نتعلّم عن هؤلاء القديسين لأننا نعلم أن من آمن بالرب وصل إلى الملكوت. القديسون هم البرهان القاطع بأن الخلاص ممكن للمؤمن بإبن الله القائم من بين الأموات، لذا تضع الكنيسة لنا ترانيمهم لكي نتعلّم منهم ونثق برحمة الرب.

إنه حوار بين صراخ البؤس واليأس من جهة والابتهاج بمواعيد الخلاص من جهة أخرى، إلى أن ينتهي الحوار بإعلان المرتلين سر التجسد الإلهي في ترنيمة خاصة بوالدة الإله ترتل بعد «المجد للآب والابن والروح القدس...». وهذه القطع هي عبارة عن أناشيد عقائدية تتكلم عن الآب الأزلي الكائن قبل الأزل والابن المتجسد إلهاً تاماً وإنساناً تاماً في طبيعتين ومشيئتين بلا انفصال ولا تشويش، وزوال سياج العداوة المتوسط، ومريم البتول مجد العالم بأسره إلخ ... . الخلاص حصل بتجسد ابن الله من البتول مريم. فمريم العذراء هي صلة الوصل بين العهدين القديم والجديد. هي السلّم السماوي الذي وصل الأرض بالسماء. هي التي قالت نعم لله نيابة عن كل البشر وحملت في حشاها مخلّص نفوسنا وأجسادنا الرب يسوع المسيح. وهي ترفع الآن صلواتنا إلى ابنها الوحيد لكي يخلّصنا لأن ابنها يسمع لها دائماً إذ هي متحدة به.

عند البدء بترتيل هذه القطعة العقائدية تفتح من جديد درفتي الباب الملوكي (أي الباب الخشبي للباب الملوكي) بعد ان كانت قد أُغلقت مع الطلبة السلامية، وذلك كدليل على انفتاح أبواب الملكوت من جديد أمام المؤمنين بالرب يسوع. ويقوم الكاهن بزياح صغير ويقف أمام الباب الملوكي راسماً بالمبخرة إشارة الصليب وقائلًا: الحكمة فلنستقم، لأنه بواسطة الصليب فُتح الفردوس من جديد.

واحتقار وصايا الرب. من الناحية الأخرى، فإنّ ميّزات الناس هي الضبط العاقل للأهواء، والصلاح، والرحمة، وتجنّب الشرّ، وعمل الخير.

هكذا تصرّف الرب مع الخائن يهوذا، وأولئك الذين أتوا مسلّحين لكي يقبضوا عليه. كيف واجههم؟ بما أنّه إله كلّيّ القدرة كان يمكنه أن يخفيهم كلّهم بلمحة بصر، لكنّه تركهم يجرّوه كمجرمٍ إلى بيت قيافا رئيس الكهنة قائلًا لهم فقط بتساؤل وشكوى هادئة: «كأنّه على لصٍّ خرجتم بسيوفٍ وعصي» (لو ٢٢: ٥٢).

لنقتدِ، يا إخوتي، بسماحته ووداعته وتواضعه. يحثّنا هو نفسه: «تعلّموا منّي لأنّي وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم» (مت ١١: ٢٩). كذلك يوصينا الرسول بولس: «باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا» (رو ١٢: ١٤)، لم يقل: «لا تحقدوا عليهم»، ولم يقل: «لا تنتقموا منهم»، طلب أمراً أكبر، أمراً إيجابيًّا: أن نباركهم ونصلّي من أجلهم ونتمنى لهم الخير. فإنّ عدم الحقد هو صفة الناس الأبرار، وعدم الانتقام هو صفة الملائكة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**